

تعريب الحزب « . وتشكر الرئائي من « مساع انتهازية ... لتجويد تعريب الحزب » . ان المؤتمر السابع يقر هذه الحقيقة البديهية الرئيسية : على الحزب ان يزيد كوادر القوى الثورية القادرة على توجيه نشاط الفلاحين في الطريق الصحيح ، اي كوادر العمال العرب الثوريين ، ولذا فان تعريب الحزب ، اي تحويله الى الحزب الحقيقي للجماهير الكادحة العربية ، هو الشرط الاول والاساسي « لعمل ناجح في الارياف » (٢٨) . ولكن الحزب لم يستطع قط ان ينجز مهام التعريب ، ولذلك ظلت الشعارات الثورية الصحيحة التي اقترها المؤتمر بريقا نظريا لا اكثر : « لا دونم واحد للفاسيين الامبرياليين والصهيونيين » ، « الاستيلاء الثوري على الارض العائدة للحكومات والمعمرين اليهود الاغنياء والطوائف الصهيونية وكبار الملاكين والمزارعين العرب » ، « عدم الاعتراف بالاتفاقات المتصلة ببيع الارض » ، « النضال ضد الفاسيين الصهيونيين » . ويقرر المؤتمر : « ان حل المسائل المنتهبة كافة ، والتصفية الحقيقية للاضطهاد ممكن فقط بثورة مسلحة تحت قيادة الطبقة العاملة » (٢٩) . « ممكن فقط » كانت هذه هي العبارة المهمة .

ان الحزب الشيوعي الفلسطيني لم ينجز مهمة التعريب ، وهكذا تهاوى بنين المخطط برمته ، وظل الميدان مفتوحا امام هيمنة القيادات الاقطاعية - الدينية . ان اسباب ذلك عديدة ، ولكن ربما يكون اهمها هو ان هذا الخط في الحزب الشيوعي كان انعكاسا للموقف المتصلب والثوري الذي اشتهر عن الكومنترن في فترة ١٩٢٨ - ١٩٣٤ . ورغم صغر عددهم ، وعزلهم ، وعدم نجاحهم الكامل في تعريب الحزب ، وفشلهم في الوصول الى الريف ، فقد تلقى الشيوعيون بكل ثقلهم في معركة ١٩٣٦ ، واخذوا مواقف شجاعة وتعاونوا مع بعض القادة المحليين ، وايدوا المفتي ، وخسروا كثيرا من الشهداء والمعتقلين ، ولكنهم لم يفلحوا في ان يكونوا قوة مؤثرة . ويبدو ان شعار التعريب ضاع في مكان ما بعد ذلك ، اذ تجرؤ الازلمستيا في ١٩٤٦/١/٢٢ (اي بعد حوالي عشر سنوات) على تشبيه « نضال اليهود » في فلسطين بالنضال البلشفي قبل ثورة ١٩١٧ .

مهما يكن فان مقررات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني لم يكشف عنها الا مؤخرا ، وعملية التعريب لم تحدث ، وبالرغم من صدور

في اليوم نفسه ، قالت « اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الفلسطيني » : « يعيش محكم العمال اليهود ، الذين لم ياتوا لاضطهادكم بل كي يعيشوا معكم ، وهم مستعدون للجهاد بجانبكم ضد هؤلاء الاعداء المالبين من اليهود والعرب والانكليز ... واذا كان اصحاب الاموال يدفعونكم ضد العمال اليهود حتى يامنوا من تعديكم عليهم ، فقول تبقون على خطاكم هذا ؟ ان هذا العامل اليهودي ، جندي الثورة ، جاء يمد يده الى ايديكم كترميل لكم لمقاومة المالبين الانكليز واليهود والعرب ... نناديكم للجهاد ضد الاغنياء الذين يبيعون البلاد واهاليها للاجانب ، فلتسقط الحراب الانكليزية والفرنسية وليسقط اصحاب الثروات العرب والاجانب ... » (٢٦) . ان الدهش في هذا البيان الطويل ليس فقط ذلك التحليل التجريدي ، الخيالي ، لحالة الصراع ولكن ايضا خلوه كليا من كلمة « صهيوني » : الخطر الذي كان يحسه العامل والفلاح العربي ان احساسا يوميا ، والذي ربما احسه ، صبيحة اليوم ذاته الذي وزع فيه ذلك المنشور ، ٥٥ شيوعيا « يهوديا » ضربهم الصهاينة في تل ابيب ، وطردهم نحو يافا .

سيظل الحزب الشيوعي الفلسطيني واقفا على هذا البعد من ارض الواقع حتى ١٩٣٠ حين انعتد مؤثره السابع اخر ذلك العام ، واعترف في مقرراته انه « اعتمد موقفا اساسيا خاطئا في المسألة القومية الفلسطينية اي في مسألة دور الاقلية القومية اليهودية في فلسطين ازاء الجماهير العربية ، ونتيجة لذلك لم يتم الحزب بنشاط عملي بين الجماهير العربية ، وظل قطاعا انعزاليا يعمل بين العمال اليهود وحدهم ، وهذه العزلة انعكست في موقف الحزب اثناء الثورة العربية عام ١٩٢٩ ، حين انقطع الحزب عن حركة الجماهير » (٢٧) .

وبالرغم من ان الحزب يكبل الاتهامات للبورجوازية الفلسطينية التي كانت آنذاك في وضع حرج ، وبالرغم من انه يتجه نحو نبذ تكتيكات الجبهات الشعبية والتحالفات بين طبقات الثورة فان وثائق المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٣٠ - ١٩٣١ هي من اثن وادق التحليلات في تاريخ هذا الحزب ، ففيها يكرس الحزب اولوية حل قضية العرب القومية كواجب من اهم واجبات الكفاح الثوري ، وفيها يعترف بان الانتطاع من حركة الجماهير كان « نتيجة انحراف صهيوني اساق